مجلة سنوية

يصدرها

قسم الدراسات العربيه والاسلاميه

بجامعة ابادن – نيجيريا

العدد 16 يونيو 1995

UNIVERSITY OF IBADAN LIBRARY

al-fikr

ANNUAL JOURNAL

OF THE

DEPARTMENT OF ARABIC AND ISLAMIC STUDIES

UNIVERSITY OF IBADAN

VOL. NO. 16 JUNE 1995

al-fikr

ANNUAL JOURNAL

OF THE

DEPARTMENT OF ARABIC AND ISLAMIC STUDIES
UNIVERSITY OF IBADAN

VOL. NO. 16 JUNE 1995

CONTENTS

	ARTICLES	PAGE
1.	Misinterpretation of the Qur'an: A Case Study of the Qur'an Interpreted by Arthur J. Arberry; - N. I. Raji	1 - 13
2.	Polygamy In Islam: A Re-Examination of its Practice in the Yoruba Contemporary Society - Dr. Hashir Abdul Salam	14 - 30
3.	Islamic Drama: Apology for a Homiletic Model - Lanrele Bamidele	31 - 40
4.	The traditional Islamic Rites Performed at Birth and death of a Muslim: A Jurisprudential Review - A. F. Ahmed	41 - 58
5	دراسة موضوعية وتحقيق للقصيدة الحديثة على إمام هارون غيغى اليورباوي لعبد الرؤوف بوصيري - M. O. Abdur Rahman	59 - 69
6.	A Critical Study of The Stylistic Features of Zaynab, A Novel by M. H. Haykal. - O. I. Tijani	70 -82
7.	أبو العتاهية: أشهر شعراء الزهد في العصر العباسي - S. A. Shittu	83 - 97
8.	The Role of al-Hadhf In the study of Morphological changes of Arabic Verb Pattern – Hassan A. Arazi	98 - 105
9.	Relativization: An Aid to the Understanding of the Qur'an and Arabic Syntax – Kareem Akintola Kewuyemi	106 - 121

UNIVERSITY OF IBADAN LIBRARY

أبو العتاهية: أشهر شعراء الزهد في العصر العباسي

د. سليمان أدينرن شنت

المقدمة:

إن المقالة تدرس شعر الزهد في العصر العباسي وهو غرض من الإراض الجديدة التي نتغت في ذلك العصر.

قد شاعت في أواخر العصر الأمرة فنون من اللهو الغناء والغزل والشراب وعلى هذه الأحوال جاء العصر العباسي الذي شاهد فيه الأدباء المستازون الذين تشققوا بالثقافة والحضارة الإسلامية ونبذوا الأسلوب وألفاظ اليدوية. مال الناس إلى ارضاء الناس لأسباب اقتصادية وغالوا في المديح كي يعيشوا في بذخ ونعيم وأضعف أثر الدين في النفوس وشاع الفسق والفجور والرغبة في شرب الخمر وفي هذا العصر انفردت جماعة من أصحاب المذاهب الدينية والفكرية يحاولون الإصلاح وينشدون الصلاح عن طريق الزهد فيما كان الانحلال الأخلاقي.

تدرس المقالة معنى الزهديات: نشأتها وتطورها وأهم شعرانها مع أشعارهم بالإيجاز تتركز المقالة على دراسة شافية للشاعر المشهور بهذا الغرض "الزهديات" في هذا العصر - أبو العتاهية وتبرز آثار الزهديات في المجتمع والأدب بألفاظها ومعانيها وأساليبها فكيف أثرت على هذه الأحوال الشنيعة.

للزهد تعاريف عديدة منها:

الزهد ينشأ عن حالات روحية واحساس متماد بتفاهة هذه الدنيا، وكونها مادة زائلة يجب أن تتخذ طريقا إلى حياة أبقى وأخلد.

الزهد هو شعور بالترفع عن النزوات الشهوية وأغراض الحياة المادية بكل ما يستهوى الجسد ويحرك المطامع وبكل ما يدفع إلى تضليل الروح عن عوامله المبرأة.(1)

والزهد قد يكون دعوة إلى إيمان وصلاة تطول، وتجنب الذات الإنساني مزالق المهاوى المضلة، وتصل أخير بين الإنسان وخالقه. أو الدعوة للانقطاع من الدنيا وشهوتها والتوجه إلى العبادة، في خلوات الزاهدين أو المتصوفيين.

والزهديات هي شعر الزهد نظم في دعوة إلى انقاذ النفس وتطهير الذات ورفعها إلى مستوى العبادة والتأمل، إعداد لغدها بتطهير يومها.(2)

إذا أمعنا النظر بعين فاحصة إلى أشعار الجاهلية نجد أنها لم تخل مما تمثل بشعر الزهد كقول لبيد بن ربيعة:(3)

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

وكل أناس سوف تدخل بينهم روهية تصغر منها الأنامل

UNIVERSITY OF IBADAN LIBRARY

وكذلك قول أمية بن أبي الصلت (الطامع في النبوة) (4)

كـــل عـــيش وإن تطـــاول دهرا منـــتهى أمـــره إلى أن يـــزولا
ليـــتني كنـــت قـــبل ما قد بدا لي في رؤس الجـــبال أرعـــى الوعولا
اجعل الموت نصب عينيك واحذره غولـــة الدهـــر أن للدهـــر غولا

وكـان انتشـار الدعـوة الإسـلامية فـي الجزيـرة العربيـة وغيرها من البلاد مطلع الازدهار للحركات الزهدية في جوانبها المتطرفة والمعتدلة. فقد دعا الإسلام إلى الاشتغال بالحياة الدنيا والآخرة، ولكنه حذر من عدم القدرة على الجمع الموافق بين ما يرضى الإنسان في دنياه، وبين ما يرضي ربه في آخرته. فجاءت دعوة الإسلام مؤكدة على سبيل الحياة الأخرى، من غير ترك الحياة الدنيا.

والدليل على ذلك من حياة النبي ε وحياة الصحابة وفي حياة الخلفاء الراشدين من بعده، وكذلك ظهرت نوادر زهدية في عصر الرسول ε وتجسمت في (أهل الصفة) وفي (أبي ذر الغفاري) لعدم اهتمامهم بزخارف الدنيا.

وكذلك الحال في عهد العباس وأدى ذلك كله إلى روحية التجأت فيها المؤمنون إلى التكفر بباطل هذه الدنيا، والانصراف إلى حياة العبادة والزهد. وهنا تنوع شعراء الزهد إلى زهاد ومتبدين ومتصوفين، درجات تباين معها المدد الروحي واختلف الإخلاص والصدق فيه.

وقد انقسم الشعراء في هذا الفن إلى قسمين:

الشعراء الناسكون ونجد أن أكثر شعرهم في هذا الغرض ولو نظموا في الأغراض الأخرى مثال أبي العتاهية وغيره.

والطائفة الثانية: لم يقتصر النظم في الزهد بل جاوزهم إلى غيرهم من أولئك المجان والمتحللين كأبي نواس (المشهور بالغزل المذكر) وغيره.

علمنا في تاريخ الأدب العربي آثار أبي نواس في تطور الشعر العربي لا سيما في الخسر والغزل بالمذكر اللذين كانا سببا لكثرة اللهو والاستهتار بالدين في العصر العباسي ولم يخل شعره من الزهد وهو يقول حينما قتل الأمينيين أصيب أبو نواس بصدمة قاسية هدت أركان نفسه فجعلته ينزع إلى عالم التوبة والزهد قائلا:

" وكنت عليه أحـــذر الموت وحده # فلم يبق شيء عليه أحـــاذر (6)

ومنهم ابن الروس (7) شاعر مغبون نشأ من بيت غني فانصرف في سن مبتكرة إلى اللهو والمتعة في حانات بغداد. فعاش أكثر حياته مغبونا محروما متألما وله غرض خاص اشتهر به ولكن شعره لم يخل عن ازدراء هذه الحياة الذليلة وما فيها حيث يرسم هذه اللحوة القبيحة من الدنيا وأهلها.

"ألا إنما الدنـــيا كجيفة مـــيت # وطلابها مثل الكلاب النواهـــش (8)

UNIVERSITY OF IBADAN LIBRARY

وقال المعري: (9) في شعر الزهد لا يرى في الدنيا خيرا وهو ساخط عليها والمجتمع.

قد فاضت الدنيا بأدناسها على برایاها وأجناسها

وكل حي بها ظالم وما بها أظلم من ناسها (10)

وهؤلاء الشعراء المذكورون أعلاه بشعرهم نظموا في الزهد وغيره ولكن هناك شاعر مشهور بهذا الفن تفوض إليه أجادة هذا الغرض وهو أبو العتاهية. ندرس حياته قبل التفاتنا إلى شعر الزهد وما سبب الذي دعاه إلى ذلك وهل فاقه أحد في هذا الفن، وما قيل عن شعره.

أبو العتاهية

هو أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم بن سوين ولقبه أبو العتاهية. قال محمد الفارسي وغيره في كتاب الأدب والنصوص (11) أنه ولد في الكوفة من أسرة فقيرة، وكان أجداده من (عين تمر) قرب الأنمار وقيل أن أبا العتاهية ولد بعين تمر قرية بالحجاز سنة 130هـ الموافق سنة 748م نشأ بالكوفة وأمه بنت المهاربي المعروفة بأم زبد. كان أجداده نصراني فلما فتح خالد بن الوليد المدينة، أسرر فيمن أرس جدّ أبي الشاعر من جماعة من الشباب وارسل بهم إلى أبي بكر فغرقهم في عدة أماكن، ثم اعتنقوا الإسلام وما ث مواليهم، أن يعتنقوا الإسلام لهذا لا يذكره الشاعر في شعره موالي الحجاز كأحد فلذا د في أحد أشعاره أنه قال:

"لا أنما التقوى هو العز والكلام زحبك للدنيا هو الفقر والعدم

وليس على عبد تقي نقيضة وإن صحّ التقوى وإن حاك وحجم"

وكان والده باعة جزار فجعل يصطنعها ويحملها في قفص على ظهره منتقلا في شوارع الكوفة يبيعها إلا أنه مع ذلك ولوعا بالقريض فقيل له وهو صغير أن فيه موهبة شعرية حتى إذا حدث بعض الحديث العادي كان يأتي بألفاظ موزونا مقفى، وكان يقول عن نفسه "لو شئت أن أجعل كلامي كله شعرا لفعلت"،(13) وقيل أنه يبيع الفخار أو الجراء.

إذ هو من بيت فقير لم يرسله ابواه غلى المدرسة بل كان يساعدهم في الصناعة فلما قوى هوده في الشعر، وذاعت شهرته سعى إلى بغداد وقد اتصل بثلاثة من الخلفاء العباسيين وهم الهدي والرشيد والمأمون ونال لديهم حظوة ثم أقبل على دساسة الفلسفة والحكمة قال إلى الزهد وانصرف بفنه إليه، وبخاصة بعد أن تعرف على عتبة - جارية الرشيد التي أغرم بها، ولكنها صدته فحزن وظن أبو العتاهية ان الرشيد علم ما بينه وجاريته ولكن لا يستأذن عمدا ولذلك قال هذا الشعر ليبرز حبه لعتبة:

"الله بيني وبين مولاتي # أبد لي الصدا والملالات"

UNIVERSITY OF IBADAN LIBRARY

وهذا الشعر اضب الرشيد وسأل أبا العتاهية حينما حضر إلى قصره ولهذا أمر ضربه ستين جلدة وسجنه وفرّ إلى الكوفة. وقيل هذه الحادثة قد جرت الخصومة بينه وبين صديقه عبد الله بن معن بن زيدان على جاريته كان أبو العتاهية يحب جارية عبد الله بن معن وكانت هذه الجارية تنظم الرثاء لأجداده الميتة ويحذرها أبو العتاهية على ذلك وهي تحبه حبا جمّا. ولكن عبد الله بن معن يحبها خالصا ويفيض عليها أوالا كثيرة وتصاحبه دائما وهذا أغضب أبا العتاهية ورأى أن لا بد ان يفارق محبوبته لصديقه وهجا صديقه على ذلك أن يفارق قائلا:

" سبحان من خص ابن معن بما # أرى به من قلة العقل"

والحادثتان من الأسباب الرئيسية التي تغيرت ميول أبي العتاهية إلى الزهد، ولما التجأ إلى شعر الزهد سرى بشعره الركبان وتغني به الفنون وتناجى به الزهاد وسائر الناس، وعنى به العلماء والرواة بجمعه، وتوفى في بغداد سنة (210هـ/826م) وأمر أن تكتب هذه الأبيات على قبره:

أذن حـــي تســـمعي لســـمعي ثم عـــي وعـــي

أنـــا رهـــن بمصـــرعي فـــاحذري مـــثل مصـــرعي

عشـــت تســـعين حجـــة أســـلمتني لمضـــجعي

لـــيس زادي الحـــي ثابـــتا في ديـــار الـــتزعزع

كـــم تـــرى الحـــي ثابـــتا في ديـــار الـــتزعزع

لـــيس زادي ســـوى الـــتقي فخـــذي مـــن أودعـــي" (16)

صفته وأخلاقه

هناك آراه مختلفة عن أخلاق أبي العتاهية لا سيما في عقيدته، وأما صفته كان أبو العتاهية أبيض اللن أسون الشعر له وفرة جعدة وهيئة حسنة وكان لبق اللسان مذبذب الرآي مفككا معتل العقيدة لاضطرابه في الآراء وتلونه في النحل، مقترا على نفسه وأهله مع وفرة ماله وحسن حاله وفي عهد هارون الرشيد دعاه معاصروه زنديقا وكافرا وقيل حمدا لما رأوه حسن معاملة الخليفة إليه ويقول إنما هو يذكر الإنسان الموت والنفاد بدون أن يذكرهم النشور والميعاد.

ولما سمع هارون الرشيد الخبر أنه زنديق أم كافر سأله وقال أبو العتاهية كيف أكون زنديقا وكافرا وأقول هذه القصيدة:

"ألا أنـــنا كلـــنا بـــائد واي بـــني آدم خـــالد

وبـــد وهـــم كـــان مـــن ربهـــم وكـــل إلى ربـــه عـــائد

فـــيا عجمـــي كـــيف تعصي الاله أم كـــيف يجحـــده جـــاحد

ولله في كـــل تحـــريكة وفي كـــل تســـكينه شـــاهد

وفي كـــل شـــيء له آيقـــة تـــدل عـــلى أنـــه واحد". (17)

UNIVERSITY OF IBADAN LIBRARY

فلما شك منصور بن عمار عن حقيقة إسلامه أرسل ابو العتاهية إلى منصور بن عمار:

"إن يوم الحساب يوم عسير ليس للظالمين فيه نصير
فاتخذ عدة لمطالع القدر وهو الصراط يا منصور"(18)

ولما سمع أبن عمار الشعر أعلن لمنكريه أنه مؤمن بالله "وإذا أمعنا النظر فيما يقولون عنه نستنتج أن منكريه ينكرونه حسدا يوفرة حظه من الخلفاء العباسيين لأنه يؤمن بالله واليوم الآخر وحج في حياته فلا غر وأن نقول أن اللسان ترجمان القلب، والشعر مرآة الشعور، فإذا قدم شعرًا نجد مماثلا شعره ومؤثرا في قرضه.

ومن أمثال مديحه للمهدي:

"اتته الخلافة منقادة إليه تجرير أذيالها
فلم تك تصلح إلا له ولم يك يصلح إلا لها
ولو لم شطعة بنات القلوب لما قيل الله أعمالها
وإن الخليفة من قول لا إليه ليغض من قالها. (19)

ومن أقواله التي قال في الغزل لا سيما في محبوبته عتبة التي لأجلها ضرب وسجن:

يا أخوتي أن الهوى قاتلي فبشروا الأكفان من عاجل
ولا تلوموا في اتباع الهوى وإني في شغل شاغل
عيني على عتبة مذهلة بدمعها المنسكب المسائل
كأنها من حسنها درة أخرجها أليم إلى الساحل
كأن في فيها وفي طرفها سوادرا أقبلن من بابل
بسطت كفي نحوكم سائلا ماذا تردون على المسائل
لم يبق مني حبها ماخلا حشاشة في بدن ناحل
إن لم تنيلوه فقولوا له قولا جميلا بدلا النائل
يت كم يرة قلبي فنيلت بطي من شدة الوجد على القاتل (20)

UNIVERSITY OF IBADAN LIBRARY

قال أبو العتاهية هذه الأبيات للرشيد وهو في السجن يشكو إلى الرشيد لإخصلاصه:

تذكر أمين الله حتى وحرمتي وما كنت توليني لعلك تذكر
ليالي تدني منك بالقرب مجلس ووجهك من ماء البشاشة بقطر
فمن لي بالعين التي كنت مرة إلى بها في سالف الدهر تنظر

هدياته:

له أشعار كثيرة تمثل حياته. فقد نقسم حياته وأعاره إلى طورين فالطور الأول: شعر الغزل والمدح وما إليهما، وهو في هذا الوقت ينتقل من قصر إلى آخر، ويفيضون النعم عليه وفي أثناء هذا الوقت أصيب بالمصيبتين المذكورتين آنفا أدناه إلى الزهد.

ومن هنا تغيرت حياته الأولى إلى الطور الثاني وهو الزهد رأى أبو العتاهية حياة إسانية في تلك الفترة قد أغرقت في الترف والبذخ وكيف انتشر اللهويين الخاص والعام وأعلن بشرب الخمر جهارا حتى جعله أبو نواس العبادة التي يعصيها الإنسان لعدم شرب الخمر.

وشاع استهتار بالدين وروي أن زوجة عم الرشيد زبيدة لا تأكل في إناء غير مصنوعة من الذهب أو الفضة (21) ويرى الناس كيف يتلفون الأموال في حفلة الوليمة أو التولية وبهذه العوامل عوم أبو العتاهية أن يزهد في الدنيا لما عزم ألا يصاحب أي خليفة في اسفاره وهو في نيل محبوبته. وأول ما قال في الزهد:

"أنا لوهو وأيامنا تذهب ونلعب والموت لا يلعب
عجبت لذي لعب قد لها وعجبت ومالي لا أعجب (22)

قام يدعو الناس بهذين البيتين إلى التزهيد في الدنيا وعدم انتباههم عن قروب أجلهم يوما فهو ما على اللهو، وكأنه يقول البيتين على منوال قوله تعالى: "وما هذه الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون."(23)

ولم يقنع أبو العتاهية من الصلاح بإخلاص روحه فحسب، بل حاول أن يدل الناس على طريقة عليهم يهتدون، وقد نقول بأن الزهدية مواعظ أو قصائد حفلت آداب الأمم ومنها الأدب العربي "بفن الزهد"، ولهذا نرى كل شعر نظم أبو العتاهية في طوره الثاني لا يخلو عن الزهد ولو قرض في المدح أو غيره، لشعر الناس التزهيد من الدنيا فيه. أمثال رثاءه قال لصديق له - أبو عباس زيدان بن معن:

حزنت لموت زائدة بن معن حقيق أن يطول عليه حزني
فتى الفتيان زائدة المصفي سبز تلهبتس طم أخي وخدني
فتى قومه ولي فتى توارت به الأكفان تحت ثرى وليس
ألا يا قمر زائدة بن معن دعوتك كي تجيب فلم تجبني
سل الأيام عن أركان قومي أصبن بهن ركنا بعد ركن (24)

UNIVERSITY OF IBADAN LIBRARY

لو لاحظنا البيت الأخير نشعر في رائعة الزهد للباقين من الأحياء لالتفات القارئين إلى آثار الأقدمين ولم يره وماذا يكون نتيجة أركان الباقية بل إلى الفناء".

أو ما قال للمهدي لما توفيت ابنته:

ما للجديدين لا يبلى اختلافهما وكل غصن جديد فيهما يبالي
يا من سلا عن حبيب بعد ميتته كم بعد موتك أيضا عنك من سالي
كأن لك نعيم أنت ذائقه من لذة العيش يحكى لمعة الال
لا تلعبن بك الدنيا وأنت ترى أولا، فما حلة فيه لمحتال (25)

نظم هذه القصيدة للمهدي وفيها يذكر أن كل شيء جديد يصير إلى البلى مهما طال عمره وكلنا لا بد من يوم يسأل عنا جهل آخر كما كنا نسأل عن الأقدمين وما إلى ذلك في ذكر الموت.

من زهدياته:

كان الزهد ثلث أبياته الشعرية، وبه جعله مشهورا وأبا للزهديات ومن أشهر زهدياته حيث قال:

أيأس من الناس وأرج الواحد الصمد فإنه هو أعلى منه، ويدا
إن كان من نال سلطان فسد له مستقينا أنه يبقى له أبد
فقال له: ته لقد اعطيت منزلة لم يعطها الله في تدبيره أحدا
أولا فويحك لا تلعب بنفسك إذ لم تدر في اليوم، ما يقض عليك غدا (26)

قال الشعر في ترابص الآخرة وإعداد النفس لها ببحر سهول وهو بحر البسيط. وقيل (27) أحسن ما قال في الزهد حيث يقول عن الدار الفانية ببحر المديد في قصيدته النونية:

سكن يبقى له سكن ما بهذا يؤذن الزمن
نحن في دار بخيرنا عن بلاها ناطق لسن
دار سوء لم يدم فرح لا مرئ فيها ولا حزن

UNIVERSITY OF IBADAN LIBRARY

ما نرى من أهلها أحد ... لم يضل فيها به الفتن
عجبا من معشر سلفو ... أي غبن بهم غبنوا
وفروا الدنيا لغيرهم ... وابتنوا فيها ما سكنوا
تركوها بعد ما اشتبكت ... بينهم في حبها الأحسن
كل حي عند مبتته ... حظه من ماله الكفن
إن مال المرء ليس له ... منه إلا ذكره الحسن
ما له مما يخلفه ... بعده إلا فعله الحسن
في سبيل الله أنفسنا ... كلنا بالموت مرتهن (28)

يقول أبو العتاهية أن ليس في طبع الدهر الخؤون القلب أن يبقى شمل الأصحاب مجتمعين بل يفرقهم بالموت لأننا في دار طبيعتها القاء، ولم نشاهد فيها من لم يهلكه الموت ولذلك أعجب لقوم يجدون في طلب الدنيا والعمارة بها ولكنهم تركوا كل ما جمعوا ولم يخرجوا من الدنيا إلا بالكفن فقط ثم يحرض الناس على بذل المال لأن الإنسان لن يبقى له إلا بالذكر الحسن ولكنا في هذه الدنيا في أعمالنا.

وقال أبو العتاهية في قصيدته اللامية عن الدنيا وغرورها ببحر الكامل:

قطعت منك حبائل الآمال ... وخلصت عن ظهر العطى وحالي
وبنت أن أبقى لي ء نلت مما ... فيك يا دنيا وأن يبقى لي
فوجدت برد الباس بين جوانحي ... وارحت من حلق ومن ترحالي
ولئن بئت لرب برقة خلب ... برقت لذي طمع، وبرقة آل
فالآن أبصرت السبيل إلى الهدى ... وتفرغت همي عن الاشخال
ولقد قام لي المشيب نعاته ... بغض إلي بمفرق وقذال
ولقد رأيت الموت يمرق سيفه ... يهد المنية، حيث كنت حيالي
ولقد رأيت على الغذاء أدلة ... فيما تنكر من تصرف حالي

UNIVERSITY OF IBADAN LIBRARY

وإذا اعتبرت رأيت خطب حوادث بحرين بالأرزاق والآجال
وإذا تناسبت الرجال فما أرى نسبا بقاس بصالح الأعمال
وغذا بحثت عن النفس وجدته رجلا يصدق قوله بفعال
وغذا اتقى امرئ وأطاعه فهداه بين مكارم ومعالي
وعلى التقي إذا ترسخ في التقس تاجان: تاج سكينة، وجلال
والليل يذهب والنهار تعاورا بالخلق في الأدبار والأقبال
وبحسب من تنعى إليه نفسه منه بأيام خلت وليالي
اضرب بطرفك حيث شئت فأنت في عبر لهن تدارك وتوالى
يبلى الجديد وأنت في تجديده وجميع ما جددت منه فبالي
مالي اراك لحر وجهك مخلقا أخلقت يا دنيا وجوه رجال
وكن بالسؤال اشد عقد ضنانة ممن يضن عليك بالأموال
ومن المحامد ما استطعت فإنما في الوزن ترجح بذل كل نوال
ولقد عجبت من المثمر ما له نسي الشعر زينة الاقلال
وإذا ابتليت ببذل وجهك سائلا فابذ له للتكرم المفضال
وإذا خشيت تعذرا في بلدة فاشدد بديك معاجل الترحال
واصبر على غير الزمان فإنما فرج الشدائد مثل حل عقال (29)

بدأ أبو العتاهية في قصيدته بقطع أمله من الدنيا ووجود راحته في اليأس منها بعد أن صدته عتبة، شرع بنصح الإنسان وبوجهه بالسؤال وان يضن بكرامته، كما يضن صاحب المال البخيل بماله إذا لمحامد ترجح في الوزن ما يبذل من مال وعطاء، وإذا عزم الإنسان على السؤال فليسال كريما وقد نقول أنه الشاعر يدافع رحاله من قصر إلى قصر آخر أو ينصح لمن يشعر بضيق في مكان ما أن يرتحل إلى غيره. وعلى الإنسان أن يصبر على نوائب الدنيا فهي لا تدوم على حال.

وقال يذكر القبور وأهلها في قصيدته الرائية من مجزوء الكامل.

أخو]ذ مرا بالقبور وسلّما قبل المسير
ثم ادعو من عادها من ماجد قدم فخور
وسود رحب الفنا اغر كالقمر المنير
يا من تضمنه البقا بر، من كبير أو صغير
هل فيكم أو منكم من مستجار أو مجير
أو ناطق أو سامع يوما يعرف أو نكير

UNIVERSITY OF IBADAN LIBRARY

أو نـــــاطق أو ســـــامع يومـــا يعـــرف أو نكـــير
أهـــل القـــبور أحـــبتي بعـــد الجذالـــة والســـرور
بعـــد الغضـــارة والنضـــا رة، والتـــنعم والحـــبور
بعـــد المشـــاهد والمجـــنا لمـــن، والعســـاكير والقصـــور
بعـــد الحســـان المســـعا ت وبعـــد ربـــات الخـــدور
أصـــبحتم تحـــت الـــثرى بـــين الصـــفائح والصـــخور
أهـــل القـــبور إليـــكم لا بـــد عاقـــبة الأمـــور (30)

يواجه أبو العتاهية في شعره أصدقائه، وكل الناس فوق الثرى بأن يزوروا القبور وأن ينادوا سكانها من عظيم وحقير فليسألوهم أفيهم من يجير أو يجار، وما هي منزلتهم في هذه الدار الآخرة بعد ما كانوا في هذه الحياة الدنيا في نعيم وسؤدد، ومناصب رفيعة ومتع وملذات، ولقد صاروا الآن تحت طبقات الثرى، وهذا مال كل حي.

وقال يصف الرجال الزاهد في الدنيا في احدى قصاندة الدالية من بحر الكامل:

إن القريـــرة عيـــنه عـــبد خشـــي الالـــة وعيشـــة قصـــد
عـــبد قلـــيل الـــنوم مجـــتهد لله كـــل فعالـــه رشـــد
نـــزه عـــن الدنـــيا وباطـــلها لا غـــرض يشـــغله ولا نقـــد
رفـــض الـــياة عـــلى حلاوتهـــا واخـــتار مـــا فـــيه له الخالـــد
يكفـــيه مـــا يلـــغ المحـــل بـــه لا يشـــتكي أن نابـــه جهـــد
وأشـــهد بديـــك أن ظفـــرت به ما العيش إلا القصد والزهد (31)

وإذا نظرنا القصيدة بعين فاحصة نرى أن أبا العتاهية يعرفنا الزهد عنده ويجعل ذلك في وصف ويقول: يقرعين زاهد دانما وعيشه قصد، ومن أعمال الزاهد هو القيام بالليل والتهجد ولا شيء يشغله عن هذه الأعمال الحسنة. ولا يطمع في حلاوة الدنيا ويقنع بما بدا له من الدهر خيرا كان أم شرا ويختار العبادة والأفعال الحسنة فريضة على نفسه إذ بذلك يفضل أخراه على دنياه.

وقال في القناعة في بيتين مطربين من بحر الوافر:

طلبـــت المســـتقر بكـــل أرض فـــلم أر لي بـــارض مســـتقر
أطعـــت مطـــامعي فاســـتعدتني ولـــو أني قنعت لكنت حرا (32)

UNIVERSITY OF IBADAN LIBRARY

وقال الأصمعي: صنع الرشيد طعاما وزخرف مجالسه واحضر أبا العتاهية فضحك وقال:

عش ما بدا لك سالما # في ظل شاهقة القصور

فقال الرشيد: أحسنت ثم ماذا، فقال:

يسعى عليك بما اشتهيت م # لدى الرواح أو البكور

فقال حسن ثم ماذا فقال:

فإذا النفوس تقعقعت في ظل حشرجة الصور

فهناك تعلم موقنا ما كنت إلا في غرور (33)

فبكى الرشيد: فقال دعه يعبر كما في فكره كي ينقذنا من غرنا، كفى هذه العبارة من هارون لأبي العتاهية فضلا لتأثر شعره في نفوس الناس حتى الأمراء، مثل هارون الرشيد. ومن أشعاره الزهدية التي لي شغف وكذلك زملائي المسلمون حيث جعل الدنيا في ازدراء لا قيمة لها، اتخذ بحر الطويل في نظمه.

لعمرك ما الدنيا بدار بقاء كفاك بدار الموت دار فناء

فلا تعشق الدنيا أخي فإنما يرى عاشق الدنيا بجهد بلاء

حلاوتها ممزوجة بمرارة وراحتها ممزوجة بعناء

فلا تمش يوما في ثياب مخيلة فإنك من طين خلقت وماء

لعلك تلقى أمر ربك شاكر وقبل أمرؤ يرضى له بقضاء

ولله نعماء علينا عظيمة ولله إحسان وفضل وعطاء

وما الدهر يوما واحدا في اختلا ـ فه وما كل أيام الفتى بدواء

وما هو إلا يوم يؤس وشدة ويوم سرور مرة ورخاء

ازور قبور المترفين فلا أرى بهاء وكانوا قبل أهل بهاء

وكل زمان وأصل بصريمة وكل زمان ملطف بفناء

يعز دفاع الموت عن كل جهلة ويعيا بداء الموت كل دواء

ونفس الفتى مسرورة بنمائها وللنقص تنمو كل ذات نماء

وكم من مفدي مات لم ير أهله حبوه ولا جاد واله بفداء

أمامك يا نومان دار سعادة يوم النما فيها ودار شقاء

خلقت لاحدى الغابتين فلا تنم وكن بين خوف منهما ورجاء

وفي الناس شر لو بدا ما تعاشروا ولكن كسداء الله ثوب غطاء (34)

UNIVERSITY OF IBADAN LIBRARY

وتم ما يشاور مؤمن مؤمنا عن الدنيا بدأ أبو العتاهية القضية بتسية الدنيا بدار الفناء وحذر فيه معاشها أنه يطلب اضعاف من البلاء لأن الدنيا لا تأتي بحلاوة وحدها إنما مزوجة بمرارة وكذلك الراحة ممزوجة بالعناء.

ويذكر كل الناس أصله أي من تراب مهما ليس طراسا من سندس وأما أبلغ الفكر حينما يقول أن الفتى يكون مسرورا بنمائه ولكن هذا النماء ينقص حياته ومن الواجب على كل إنسان أن نيفعل الخير ولا يرجو الجزاء حاليا ولذلك قال: كم من سفدي مات في محل غريب لم يجد الفداء. وأخيرا أحسن الإنسان أن يكون بين خوف ورجاء.

وكل هذه الأبيات الشعرية المذكورة أعلاه تمثل لونا من الأدب هذا على المجتمع الإسلامي في القرن الثاني لهجرة، وهو (فن الزهد) وكان أبو العتاهية زعيم هذا الفن.

نرجع إلى القصائد المدرسة نرى أن الزهديات تتكون من الترغيب في الأخرة والتحذير من الدنيا الدانئة والدعوة إلى القناعة واجتناب الشر، والتجمل بالأخلاق الفاضلة والتذكير بالموت وضجعة القبر.

ونلاحظ أيضا قصائد ابن العتاهية تختلف أسلوب نظمة عن الشعراء الأقدمين خصوصا في مطلع قصائدهم لاتدانهم بنسيب يذكر فيه أطلال قبل ذهابهم إلى الموضوع فأبو العتاهية لا يتوقف على الاطلال إنما يصرح على الموضوع. فعل هذا أبو العتاهية لتطور الثقافة والحضارة ورأى أن شعره يحتاج إلى ما يقبله الحواضر.

وكذلك نرى أن زهدياته لها غرض واحد وهو الإرشاد والوعظ ولذلك كان شعره غزير البحر، لطيف المعاني. سهل الألفاظ كثير الاقتنان قليل التكلف وقد قلت فيها الصور الشعرية والاخيلة الجميلة، فجاءت جافة أشبه بوعظ الواعظين منها بروائع الشعراء المخلقين، وذلك لأن هذا النوع من الأدب يتطلب السهولة والوضوح والقرب من أفهام الناس، وتخبير الأوزان الشعرية مثل البسيط والمديد والكامل حتى لا يتكلف أحد في غنائها. ولكن قال أحد منكريه بأنه يجهل العروض جهلا تاما (35) لكن معظم القصائد التي درسنا في هذه المقالة توافق الأوزان العروضية.

ونرى أن القرآن والحديث أثرا تأثيرا حسنا في شعره وما هو يقتبس من القرآن قائلا:

من تراب خلقت لا شك فيه وغدا أنت صائر للتراب

كيف تلهو وأنت في حياة الطين وتمشي وأنت خو اعجاب (36)

قد تشابه معاني البيت بقوله تعالى: "منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى.(37)

الختام

كان الأدباء أو الشعراء ينظمون الشعر ما تشابه بشعر الزهد من العصر الجاهلي فدعى الشعراء في أشعارهم الناس إلى مكارم الأخلاق وازدراء الدنيا ونعيمها وأمثالهم

UNIVERSITY OF IBADAN LIBRARY

مذكورة أعلاه ولما حضر الإسلام تجمع الناس في عبادة الله وترغيب عن الدنيا ولذّاتها أثال أهل الصفة وحياة الرسول وأصحابه.

وأما العصر الأموي شاع فنون من اللهو والغناء والغزل والشراب وعلى هذه الأحوال جاء العصر العباسي الذي شاهد فيه الأدباء الممتزون الذين تثقفوا بالثقافة والحضارة الأجنبية نبدوا أسولب وألفاظ البدوية. لما كان هذا العصر غارقا في اللهو وغيره من اللذات الدنيا، وذاق أبو العتاهية من مرارتها أي خيبته في محبوبته جعله أن يغادر إلى شعر الزهد، وفي فنه هذا أبدع فيه ابداع كثيرا منها استعمال ألفاظ سوقية ولذلك روي أن أباالعتاهية أنشد احدى قصائده لسلم وقال: كيف رأيتها فقال له لقد جودتها لو لم تكن ألفاظها السوقية فقال أبو العتاهية: "والله ما يرغبني فيها إلا الذي زهدك فيها". إذ غرضه الأساسي هو الفهم بين الخاص والعام وبهذه السهولة فاق أدباء معاصريه. وكلهم اجتهدوا في هذا الفن حتى أبا نواس الذي ترنس اللهو والسجون. وأما آثار الزهديات على العصر لا تعد ولا تحصى لنأخذ كيف أثّر شعر أبي العتاهية في نفس هارون الرشيد حتى يجرى الدموع من عينيه، فإذا كان لشعره أثر على خليفة من خلفاء العصر العباسي لا بد أن الشعر قد أثّر على أخلاق الأمة. ولا يزال ديوانه الزهدية يؤثر في كل نفس لها أذن واعية وإرشاد لكل واعظ حتى عصرنا الراهن وبسهولة الألفاظ والأسلوب جعل الزهديات ما يتغنون به الإنس والجن وهذا من خصائص الشعر هذا العصر لتثقيفهم بالحياة الحضارية.

ونجده متمثلا في شعره ومؤثرا في قرضه: ولفظه سهل رقيق وأسلوب محكم وثيق.

UNIVERSITY OF IBADAN LIBRARY

الهوامش

1- عناد عزوان إسماعيل وغيره: الأدب العربي دار الحربية للطباعة، الجمهورية العراقية، 1975م، ص 25.
2- كرم الستاني: شرح ديوان ابن العتاهية، دار صعب، بيروت، لا. ت، ص: 15.
3- هو لبيد بن ربيعة وهو أحد أصحاب المعلقات وقد أدرك الإسلام وأسلم.
4- أبو عثمان أمية بن أبي الصلت التقفي، لأجله نزل قوله تعالى: "واتل عليهم نبأ الذي أتيناه..." الآية.
5- الحسن بن هانئ بن عبد الأول (763-813).
6- حنا الفاخوري: تاريخ الأدب العربي، مطبعة أبو لبسية، بيروت، 1963، ص: 315
7- ابن الرومي: علي بن الرومي (863-896)
8- محمد عبد الغني حسن، نوابغ الفكر العربي ابن الرومي، دار المعارف بمصر، 1976، ص: 67
9- أبو العلاء المعرى (973-1058م)
10- حنا ألفاخوري، ص: 793
11- محمد الفاسي وغيره: الأدب والنصوص (مكتبة الرشاد، دار البيضا، القاهرة. لا. ت ص: 536
12- نفس المرجع، ص: 537
13- نفس المرجع، ص: 539
14- نفس المرجع، ص: 539
15- نفس المرجع، ص: 539
16- عبد اللطيف شهران: أعلام الفخر العربي أو العتاهية، بيروت، 1963، ص: 36
17- نفس المرجع، ص: 44
18- نفس المرجع، ص: 45
19- نفس المرجع، ص: 47
20- نفس المرجع، ص: 48
21- كرم البستاني: شرح ديوان أبي العتاهية، دار صعب، بيروت لا. ب. ص: 31
22- نفس المرجع، ص: 40
23- سورة العنكبوت، آية 64
24- عناد عزوان إسماعيل وغيره، الأدب العربي، دار الحرية لطباعة، الجمهورية العراقية، 2975م، ص: 53
25- نفس المرجع، ص: 53
26- عبد اللطيف شهران، ص: 43

UNIVERSITY OF IBADAN LIBRARY

27- كرم البستاني، ص: 39
28- نفس المرجع، ص: 45
29- عبد اللطيف شهران، ص: 45
30- كرم البستاني، ص: 52
31- نفس المرجع، ص: 53
32- نفس المرجع، ص: 46
33- عبد اللطيف شهران، ص: 50
34- عناد غزوان إسماعيل وغيره، ص: 73
35- عبد اللطيف شهران، ص: 53
36- نفس المرجع، ص: 51
37- طـــه، آية 55
38- أحمد الغسكندري ومصطفى عنانـي الوسيط فـي الأدب العربـي وتاريخـه، دار المعارف بمصر، 1916م، ص:53

UNIVERSITY OF IBADAN LIBRARY